**توبوا إلى الله توبةً نصوحاً**

**وضاح سيف سعيد الجبزي**

**الحمد لله الذي لا يُحيطُ العادُّ لنِعَمِه بطرَف، القائلِ في حقِّ من انتهَى عن جُرمه وتابَ مما اقترَف: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[الأنفال38].**

**الحمدُ للهِ الذي لا يخيب من رجاه، ولا يطرد من عصاه إذا تاب مما جناه، الهادِي مَن استهداه، الواقي مَن اتَّقَاه، الكافي مَن تَحَرَّى رِضَاه، نحمَدُه حمدًا بالغًا أمَدَ التمام ومُنتهاه.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا مَن يرى مدَّ البعوضِ جناحَهاويرى نِياطَ عروقِها في نحرِهاامنُن علينا بتوبةٍ تمحُو بها** |  | **في ظُلمةِ الليل البَهيم الألْيَلِوالمُخَّ في تلك العِظامِ النُّحَّلِما كان منا في الزّمانِ الأوّلِ** |

**وأشهد أن لا إله إلا الله، أشرقت لنور وجهه الظلمات، واستنارت له الأرض والسماوات، سبحانه مقيل العثرات، ومنيل الطلبات، ومجزل الهبات، ومعتق الرِّقاب الموبَقات، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾[الشورى:25].**

**وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وخاتم أنبيائه، وسيِّدُ أصفيائه.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **مركبُ الشّعرِ عند شاطيهِ يرسوهتف الشّوقُ نحوه فاستنارتْفعليك الصّلاةُ يا خيرَ داعٍ** |  | **والمعاني إذا ذكرناهُ أُنسُأحرفٌ تحمِلُ الحنينَ ونفسُما اعتلى في السّماءِ بدرٌ وشمسُ** |

**صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.**

**عباد الله، يحيط بابن آدم أعداء كثير؛ من شياطين الإنس والجن، يحسّنون القبيح، ويقبّحون الحسَن، ينضم إليهم: النّفسُ الأمّارةُ بالسوء، والشيطانُ والهوى؛ يدعونه إلى الشهوات، ويقودونه إلى مهاوي الرّدى، ينحدرُ في موبقات الذنوب؛ صغائرِها وكبائرِها، ينساق في مغريات الحياة، وداعيات الهوى، يصاحب ذلك: ضيقٌ وحرَجٌ، وشعورٌ بالذنب والخطيئة؛ فيوشك أن تنغلق أمامَه أبوابُ الأمل، ويدخلَ في دائرة اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة اللّـه، ولكن اللّه، العليمَ الحكيمَ، الرؤفَ الرحيمَ، الذي ﴿ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:14]، فتح لعباده أبواب التوبة، ودلّهم على الاستغفار، وجعل لهم من أعمالهم الصالحة كفارات، وفي ابتلاءاتهم مكَفِّرات، بل إنه -سبحانه- بفضله وكرمه، يبدِّل سيئاتهم حسنات ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الشورى:25]، وهو -سبحانه- ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[غافر:3]، وقد جعل الله التوبة ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾[آل عمران:17].**

**أيها المسلمون، ومما يبين أهمية التوبة، ومكانتها؛ أنها في كل مقام من مقامات العبودية مستصحَبة، ولهذا جعلها الله تعالى آخر مقامات خاصته، فقال تعالى في غزوة تبوك، وهي آخر الغزوات التي قطعوا فيها الأودية والبدايات، والأحوال والنهايات: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾[التوبة:117].**

**فهي المقام الأسنى، والعاقبة الحسنى، والمزية العظمى، والمنزل الأسمى، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة:222].**

**بالتوبة -يا أيها الأحبة- تُـمحى السيئات، وتضاعَف الدرجات: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[الفرقان:70]!**

**عن أنس بن مالك -رضي اللّه عنه- قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «قال اللهُ تعالى: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»([[1]](#footnote-1)).**

**فـ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[التحريم:8]، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور31]، ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[هود:61]، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[هود:90].**

**عند الطبراني([[2]](#footnote-2))، أتى النبيَّ ﷺ رجلُ فقال: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجّةً وَلَا دَاجّةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟» قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ»، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى.**

**﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[هود:114].**

**عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: إن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَدُنَا يُذْنِبُ؟ قَالَ: «يُكْتَبُ عَلَيْهِ»، قَالَ: ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وَيَتُوبُ؟ قَالَ: «يُغْفَرُ لَهُ وَيُتَابُ عَلَيْهِ»، قَالَ: فَيَعُودُ فَيُذْنِبُ؟ قَالَ: «فَيُكْتَبُ عَلَيْهِ»، قَالَ: ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وَيَتُوبُ؟ قَالَ: «يُغْفَرُ لَهُ وَيُتَابُ عَلَيْهِ، وَلَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا»([[3]](#footnote-3)).**

**﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾[النساء:27].**

**يسأله من في السماوات والأرض ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن:29]، يغفر ذنبًا، ويفرّج همًا، ويكشف كربًا، ويجبُر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويُعلّم جاهلًا، ويهدي ضالًا، ويُرشِدُ حيرانًا، ويغيث لهفانًا، ويفكُّ عانيًا، ويشبع جائعًا، ويكسو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسناً، وينصر مظلومًا، ويقصم جبارًا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمّن روعة.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إنه اللهُ سلوةٌ وضياءٌ**  |  | **في سماء العُبَّاد والعابداتِ** |

**عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال ﷺ: «لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ السَّمَاءَ، ثُمَّ تُبْتُمْ، لَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ»([[4]](#footnote-4))، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[ النساء:110].**

**فيا سبحان اللّـه! هذا عفو ربكم يا عباد اللّه؛ عفوه يستغرق الذنوب، فكيف حبُّه؟! وحبُّه يدهش العقول فكيف ودُّه؟! وودُّه ينسي ما دونه فكيف لطفُه؟! يسبّحه النباتُ جمعُه وفريدُه، والشجر عتيقُه وجديدُه، تُـمجِّده رهبان الطيور في صوامع الأشجار فيطرب السامعَ تمجيدُه، كلما درّس الهَزارُ درْس شكره فالبلبلُ بالحمد معيدُه، وكلما أقام خطيبُ الحمام النّوح على منابر الدوح هيّج المستهام تغريدُه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[العنكبوت:19].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا أيها الماء المهينُ من الذي سوّاك ومن الذي غذّاك من نعمائهومن الذي شقّ العيون فأبـصرتومن الذي تعـصي ويغفر دائمًا**  |  | **ومَن الذي في ظلمة الأحشاء قد والاك؟!ومن الكروب جميعها نجاك؟! ومن الذي بظهوره أعلاك؟!ومن الذي تنسى ولا ينساك؟!** |

**﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الأنعام:102]، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[فاطر:13]، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[غافر:62].**

**عبد الله! تأمل هذا النبأ العام من الملك العلام:** **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الحجر:49]، ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[طه:82].**

**في الأثر: «أوحى الله إلى داود-عليه السلام: لو يعلم المدبرون عنّى، كيف انتظاري لهم، ورفقي بهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم! لماتوا شوقًا إليّ، وتقطعتْ أوصالُهم من محبّتي، يا داوود، هذه إرادتي في المدبرين عني، فكيف إرادتي في المقبلين عليّ»([[5]](#footnote-5)).**

**سبحانك يا سيدي، هذه إرادتُك فيمن يؤذيك، فكيف إرادتُك فيمن يؤذَى فيك؟**

**سبحانك سيدي، يا من لك الجلالُ والكمالُ، ولك الجمالُ، قدّستْك ألسُنُ التّماديح، وأفواه التّسابيح، سبحانك! يرفع إليك ثغاءُ التسابيح، وكمالُ المديح، سبحانك! يا من ناجتك على عرشك ألسنةُ الصدور، وأفواهُ القلوب، سبحانك! كلُّ الكون يأتي مسبّحًا حامدًا ساجدًا، ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[الرعد:13].**

**يقول عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ شَيْءٌ إلاَّ، وهُو أَطْوَعُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ ابْنِ آدَمَ»([[6]](#footnote-6)).**

**وجاء في أثر إلهي يقول الله -عز وجل- «خَلَقْتُك لِنَفْسِي فَلَا تَلْعَبْ، وَتَكَفَّلْتُ بِرِزْقِك فَلَا تَتْعَبْ، ابْن آدَم، اُطْلُبْنِي تَجِدْنِي؛ فَإِنْ وَجَدْتنِي وَجَدْت كُلّ شَيْء، وَإِنْ فُتُّك فَاتَك كُلّ شَيْء، وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْك مِنْ كُلّ شَيْء»([[7]](#footnote-7)).**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لكلِّ شيءٍ إذا فارقتَهُ عِوَضٌ**  |  | **وليس لله إنْ فارقتَ مِن عِوضِ** |

**أخي: من فقد الله ماذا وجد؟ ومن وجد الله فماذا فقد؟ ومن طلب الله بصدق وجده، وأغناه وجودُه عن كل شيء، فأصبح حرًّا في غنى ومهابة، على وجهه أنوارُه وضياؤه، وإن فاته مولاه -جلّ جلالُه- تباعد ما يرجو وطال عناؤه([[8]](#footnote-8)).**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أُناسٌ أعرضُوا عنَّاأساءوا ظنَّهُم فِينافإنْ عادُوا لنا عُدْناوإنْ كانوا قد استَغنَوا**  |  | **بلا جُرمٍ ولا معنىفهلَّا أحسنوا الظنّا!وإنْ خانُوا فما خُنَّافإنّا عنهُمُ أَغنى** |

**خرَّج الإمام أحمد([[9]](#footnote-9)) وأبو داود([[10]](#footnote-10)) والترمذي([[11]](#footnote-11)) والنسائي([[12]](#footnote-12)) وابن ماجه([[13]](#footnote-13))، من حديث أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ لَهُ»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:135].**

**وعند الحاكم([[14]](#footnote-14)) والبيهقي([[15]](#footnote-15))، جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ وهو يقول: وَاذُنُوبَاهُ، وَاذُنُوبَاهُ، فَقَالَ هَذَا الْقَوْلَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «قل: اللَّهُمَّ مَغْفِرَتُكَ أوْسَعُ مِنْ ذُنُوبي، وَرَحْمَتُكَ أرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلي»، فَقَالَهَا ثُمَّ قَالَ: «عُدْ» فَعَادَ ثُمَّ، قَالَ: «عُدْ» فَعَادَ، فَقَالَ: «قُمْ فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ».**

**ألا، وإنَّ أحقَّ الكلامِ بالاستماع، وأجدرَه بالاتباع، كلامُ الملك العلام: ﴿رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[الأعراف:23].**

**الخطبة الثانية:**

**الحمد لله مُجزِل العطايا على البرايا إحسانًا وفضلًا وبِرًّا، أحمده وقد لهَجَت الألسُن بحمده شُكرًا وتسبيحًا وذِكرًا، وأشكره وقد أوسع للمُذنبين عفوًا، وأجزلَ للطائعين أجرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبدٍ يرجو العفوَ والسِّترَا، ويخافُ الذنبَ والوِزرَا، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيُّه وخليلُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً تبقى وسلامًا يَترَى.**

**وبعد، يا من بدرت منه الخطيئة وكلُّنا ذاك، عودة عودة إلى أفياء الطاعة، فالباب مفتوح، والظلُّ والرّخاء من وراء الباب، فالزم سدّة الباب، وقم في الدجى، واصرخ بلسان الذّل، مع وجيب القلب، وواكف الدمع: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾[يوسف:88]، هيا فالنَّفَس يخرج ولا يعود، والعين تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي العزيز الحميد!**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فلا بدَّ من ساعة قاهرةإذا استوفت النفسُ مكيالَهافمالك من فرصة للإيابتقدّم فما زال للصلح باب** |  | **تكون النفوس بها فاغرةوزُلزلتِ الأرضُ زلزالهاولن يرجع العمرُ بعد الذّهابوبالموت يُغلَق بابُ المتاب** |

**سئل علي -رضي الله عنه- عن العبد يذنب، قال: يستغفر ويتوب، قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر اللّـه ويتوب، قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر اللّـه ويتوب، قيل: حتى متى؟! قال: حتى يكون الشيطان هو المحْسُور([[16]](#footnote-16)).**

**وقيل للحسن -رحمه اللّـه-: ألا يستحيي أحدُنا من ربِّه؛ يستغفر من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفر ثم يعود، فقال: ودَّ الشَّيطَانُ لو ظَفِر منكم بِهذِهِ فلا تَملُّوا مِن الاستِغفَارِ([[17]](#footnote-17)).**

**قال أبو سُليمان: الخاسر من أبدي للناس صالح عمله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد([[18]](#footnote-18)).**

**فيا عبد الله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **خلِّ ادّكارَ الأرْبُعِوالظّاعِنِ المودِّعِوانْدُبْ زَمانًا سلَفا ولمْ تزَلْ مُعتكِفا كمْ ليلَةٍ أودَعْتَها لشَهوَةٍ أطَعْتَها وكمْ خُطًى حثَثْتَها وتوْبَةٍ نكَثْتَها وكمْ تجرّأتَ علىولمْ تُراقِبْهُ ولاوكمْ غمَصْتَ بِرّهُوكمْ نبَذْتَ أمرَهُوكمْ ركَضْتَ في اللّعِبْولمْ تُراعِ ما يجِبْفالْبَسْ شِعارَ النّدمِقبلَ زَوالِ القدَمِواخضَعْ خُضوعَ المُعترِفْواعْصِ هَواكَ وانحَرِفْأمَا ترَى الشّيبَ وخَطْومنْ يلُحْ وخْطُ الشّمَطْويْحَكِ يا نفسِ احْرِصيوطاوِعي وأخْلِصيواعتَبِرِي بمَنْ مضىواخْشَيْ مُفاجاةَ القَضاوانتَهِجي سُبْلَ الهُدىوأنّ مثْواكِ غدافَيا مَفازَ المتّقيسوءَ الحِسابِ الموبِقِويا خَسارَ مَنْ بغَىوشَبّ نيرانَ الوَغىيا مَنْ عليْهِ المتّكَلْلِما اجتَرَحْتُ من زلَلْفاغْفِرْ لعَبْدٍ مُجتَرِمْفأنتَ أوْلى منْ رَحِمْ** |  | **والمعْهَدِ المُرتَبَعِوعدِّ عنْهُ ودَعِسوّدْتَ فيهِ الصُّحُفاعلى القبيحِ الشّنِعِمآثِمًا أبْدَعْتَهافي مرْقَدٍ ومَضْجَعِفي خِزْيَةٍ أحْدَثْتَهالمَلْعَبٍ ومرْتَعِربّ السّمَواتِ العُلىصدَقْتَ في ما تدّعيوكمْ أمِنْتَ مكْرَهُنبْذَ الحِذا المرقَّعِوفُهْتَ عمْدًا بالكَذِبْمنْ عهْدِهِ المتّبَعِواسكُبْ شآبيبَ الدّمِوقبلَ سوء المصْرَعِولُذْ مَلاذَ المُقترِفْعنْهُ انحِرافَ المُقلِعِوخَطّ في الرّأسِ خِطَطْبفَودِهِ فقدْ نُعيعلى ارْتِيادِ المَخلَصِواسْتَمِعي النُّصْحَ وعيمن القُرونِ وانْقَضىوحاذِري أنْ تُخْدَعيوادّكِري وشْكَ الرّدىفي قعْرِ لحْدٍ بلْقَعِورِبْحَ عبْدٍ قد وُقِيوهوْلَ يومِ الفزَعِومنْ تعدّى وطَغىلمَطْعَمٍ أو مطْمَعِقدْ زادَ ما بي منْ وجَلْفي عُمْري المُضَيَّعِوارْحَمْ بُكاهُ المُنسجِمْوخيْرُ مَدْعُوٍّ دُعِي** |

**قال يحيى بن معاذ: الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب: إسبالُ الدمعة، وحبُّ الخلوة، والمحاسبةُ للنفس عند كل همَّة([[19]](#footnote-19)).**

**نعم، علامة التائب إسبال الدمعة.**

**فالتائبُ: منكسرُ القلب، غزير الدمعة، حيُّ الوجدان، قلقُ الأحشاء.**

**التائب: صادق العبارة، جمُّ المشاعر، جيَّاش الفؤاد، مشبوب الضمير.**

**التائب: خليُّ من العجب، فقير من الكبر، مقلٌّ من الدعاوي.**

**التائب: بين الرجاء والخوف، بين السلامة والعطب، بين النجاة والهلاك.**

**التائب: يعرف معنى الهجر والوصال، واللقاء والفراق، والإقبال والإعراض.**

**التائب له في كل وقفةٍ عبرة؛ فالحمام إذا غرّد بكى، والطير إذا صاح ناح، والبلبل إذا شدا تذكّر، والبرق إذا لمع اهتزّ.**

**التائب: يجد للطاعة حلاوة، وللعبادة طلاوة، وللإيمان طعماً، وللإقبال لذّة.**

**التائب: يكتب من الدموع قصصًا، وينظِمُ من الآهات أبياتًا، ويؤلف من البكاء خطبًا.**

**التائب: أعتق رقبته من أسر الهوى، وأطلق قلبه من سجن المعصية، وفكَّ روحه من شباك الجريمة، وأخرج نفسه من كيد الخطيئة.**

**التائب: كالطائر الجريح لا يختال، وكالقمر الكاسف لا يتكلم، وكالنجم الغابر في الغيهب لا يصيح.**

**التائب: قد نحل بدنه الصيام، وأتعب بدنه القيام، حلف بالعزم على هجر المنام، فبذل لله جسمًا وروحًا، وتاب إلى الله توبةً نصوحًا.**

**التائب: الذلّ قد علاه، والحزن قد وهَاه، يذم نفسه في هواه، وبذلك صار عند الله محمودًا؛ لأنه تاب إلى الله توبة نصوحًا.**

**أين من يبكي جنايات الشباب؟ أين من يبكي على الخطايا التي اسودّ بها الكتاب؟ أين من يأتي إلى الباب فيجد الباب مفتوحًا، فيتوب ﴿إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[التحريم:8]([[20]](#footnote-20)).**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا رب عدتُ إلى رحابك تائبًامالي وما للأغنياء وأنت يا مالي وما للأقوياء وأنت ياإني أويت لكل مأوىً في الحياةوتلمست نفـسي السبيل إلى النجاةوبحثت عن سرِّ السعادة جاهدًافليرضَ عنّي الناس أو فليسخطواأدعوك يا ربِّ لتغفر زلتيفاقبل دعائي واستجب لرجاوتي** |  | **مستسلمًا مستمسكًا بعراكربِّ الغني ولا يُحَدُّ غناكربِّ ورب الناس ما أقواكفما رأيت أعزّ من مأواكفلم تجد منجى سوى منجاكفوجدتُ ذاك الـسرّ في تقواكأنا لم أعد أسعى لغير رضاكوتعينَني وتـمدَّني بهداكما خاب يومًا من دعا ورجاك** |

1. **(( سنن الترمذي (٣٥٤٠)، مصابيح السنة (١٦٧٥).** [↑](#footnote-ref-1)
2. **( (المعجم الكبير (7235)، الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (5/2728).**  [↑](#footnote-ref-2)
3. **(( مسند الروياني (1/173)، المعجم الكبير (17/791)، المستدرك على الصحيحين (1/195)، شعب الإيمان (9/6695).** [↑](#footnote-ref-3)
4. **(( سنن ابن ماجه (4248)، الدعاء، للطبراني(1805)، شرح السنة للبغوي(1295).** [↑](#footnote-ref-4)
5. **(( الرسالة القشيرية(2/499)، التبصرة(1/34)، (1/359)، مرشد الزوار إلى قبور الأبرار(1/96)، روضة المحبين (1/592).** [↑](#footnote-ref-5)
6. **(( مسند البزار(4374)، المعجم الصغير للطبراني (٩٠٨).** [↑](#footnote-ref-6)
7. **(( طريق الهجرتين ودار السعادتين (1/95).** [↑](#footnote-ref-7)
8. **(( السابق (1/47).** [↑](#footnote-ref-8)
9. **(( المسند (2).** [↑](#footnote-ref-9)
10. **(( السنن (١٥٢١).** [↑](#footnote-ref-10)
11. **(( السنن (٣٠٠٦).** [↑](#footnote-ref-11)
12. **(( الكبرى (١١٠١٢).** [↑](#footnote-ref-12)
13. **(( السنن (٣٩٥).** [↑](#footnote-ref-13)
14. **(( المستدرك (1994).** [↑](#footnote-ref-14)
15. **(( شعب الإيمان (6724).** [↑](#footnote-ref-15)
16. **(( الزهد لهناد بن السري (2/458)، التوبة لابن أبي الدنيا (134)، تفسير ابن رجب الحنبلي (1/ 562).** [↑](#footnote-ref-16)
17. **(( تفسير ابن رجب الحنبلي (1/ 562).** [↑](#footnote-ref-17)
18. **(( جامع العلوم والحكم لابن رجب (1/411).** [↑](#footnote-ref-18)
19. **(( صفوة الصفوة (2/292).** [↑](#footnote-ref-19)
20. **(( التبصرة (1/374).** [↑](#footnote-ref-20)